المحاضرة الثانية:

عوامل النهضة العربية الحديثة

يعد اتصال الغرب بالمشرق من أهم الحلقات الأساسية، التي قامت عليها حركة النهضة العربية، ومن ثم فهي لم تكن وليدة توجيه/ موعظة بقدر ما كانت ردة فعل قوية على تلك الأوضاع المتردية السائدة. ذلك أن المماليك عاثوا فسادا في البلاد العربية واستبدوا: « وجمعوا الأموال وتصرفوا على حسب أهوائهم في ظلم الناس واضطهادهم، فقد عمت الفوضى في البلاد وتناحر المماليك فيما بينهم واشتد أمر الجند الذين عاثوا في البلاد فسادا باعتدائهم على الأموال والأعراض والأرواح »[1]. لهذه الاعتبارات وغيرها أعاد العرب النظر في ظروفهم التي يعيشونها على كل المستويات، وهذا من خلال محاولة إحداث تغييرات جذرية، تُمس كل الجوانب الفكرية والثقافية والحضارية، والتي تُشكل في الوقت نفسه الأمجاد الحقيقية التي افتقدها العرب قبل النهضة، ومن ثم العودة إلى صناعة تاريخ حديث، قائم على التغيير الجذري، تحكمه بعض العوامل التي ساعدت فعلا العرب على قيام نهضة نقدية عربية حديثة:

-الاحتكاك الغربي/ العربي:لقد عدَّ الكثير من البحاثة أنّ احتكاك أبناء المشرق باللغرب يعد من أهم المقدمات التي قامت عليها النهضة النقدية العربية الحديثة. بحيث تجلى في البداية على شكل " **اتصال**" ثم ارتقى بعد ذلك إلى

[1]- حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص895.

احتكاك"**التفاعل**" بينهما في مختلف البلدان العربية خاصة منها: المصرية/ السورية، ففي بداية القرن **الثامن عشر الميلادي** أعلنت فرنسا حملتها التوسعية على مصر **سنة1798** بقيادة " **نابليون** ". ومن ثم فقد اعتبر الكثير من الباحثين أن هذا " التاريخ "/ التأرخة تشكل مرجعية فعلية لبدايات النهضة/الحركة النقدية العربية الحديثة، لذلك كانت هذه الحملة كما وصفها البحاثة أشبه ما تكون بصاعقة على فوضى المماليك،بحيث حدّت من جورهم وظلمهم واستبدادهم من جهة، وأيقظت البلاد المصرية من سُباتها العميق، ونبهت أفرادها إلى التطلع بممارسة حياة جديدة من خلال تنوير عقولهم من جهة أخرى،بحيث تعرفوا على مختلف أشكال الثقافة الحديثة، التي على الرغم من شراستها الفكرية، إلاّ أنها في جانب آخر أفادت الشرق؛ من حيث نبهته إلى إلزامية التجديد لكل عناصر الوعي، مما يعني في جانب آخر، أنها أول مرة تقع فيها أيدي الشرقي على نتاج العصر الحديث. وعليه فقد ازداد اهتمام أبناء المشرق بالإرث النقدي الأدبي الغربي بالغرب، ذلك أنّ الحملة **النابليونية** قد: « هزت مصر هزة عنيفة بنقلها قوة الغرب ومدنيّته إليها، فهب إليها المصريون من غفلتهم وفتحوا أعينهم على ما لم يكن لهم عهد بمثله ... فتنبهوا إلى حقوقهم التي هضمها المماليك وغيرهم »[1].

-التفاعل المعرفي/ العلمي:

1-إنشاء المدارس:لقد تأكد الإطار المعرفي والتعليمي بفعل المدارس التي أنشأها العرب كما الغرب، ذلك أن التعليم أدى في عصر النهضة دورا تربويا

[1]- **حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص: 896.**

وأخلاقيا وثقافيا، خاصة تلك المدارس التي تكفلت بإدارتها الدولة، بحيث حققت اتصالا بين طبقات الشعب، ومن ثم تحققت فعالية الرؤية النهضوية، من خلال استقاء مختلف العلوم والمعارف. لذلك فقد حظيت المدارس باهتمام كبير، خاصة في القرن **السادس عشر الميلادي**، أين: « أخذت الإرساليات المسيحية على عاتقها فتح المدارس اليسوعية في منطقة الشام، كما فعلت الطوائف الأخرى في فلسطين؛ كمدرسة انتشار الإنجيل بين اليهود، وجمعية المرسلين الكنائسية وغيرها... كل ذلك في القدس »[1]. وبالمقابل ففي البلاد المصرية، أخذ **محمد علي** على عاتقه إنشاء "مدرسة الألسن والترجمة"، كما أنشأ **علي مبارك** "دار العلوم"، كما أنشأت "جامعة القاهرة" سنة **1908** في تلك الفترة التي ترأسها فيها شرفيا، **الأمير أحمد فؤاد**.

2- البعثات العلمية: لقد شكلت البعثات العلمية، أحد العناصر الأساسية التي عملت على توطيد الاحتكاك الفعلي بين المشرق والغرب. وهذا ما تجلى فعليا حينما أوفد "**محمد علي**" العشرات من الشباب المصري إلى أوروبا لدراسة العلوم الحربية والإدارية واللغوية، والتي كان من ضمنها " **رفاعة الطهطاوي** " كواعظ وإمام من أجل الحفاظ على عقيدة هؤلاء الشباب الطلاب. وعلى هذا الأساس فقد غدت هذه البعثات أسلوبا فعالا من أجل توطيد الصلات المعرفية/العلمية، ومن ثم الانفتاح على الآخر الأوربي من منطلق نقل وتلقي مختلف العلوم العلمية والفكرية.

---

[1]- ينظر : عبد الرحمان ياغي: حياة الأدب الفلسطيني الحديث، دار الآفاق، ط2، بيروت 1980، ص63.

3- حركة الترجمة والطباعة:

لقد قامت هذه الحركة أساسا على نقل العلوم والمعارف والأفكار الحديثة إلى اللغة العربية، من أجل تلقيها في البلاد العربية ضمن حركة تنويرية جديدة قائمة على استراتيجية معرفية جديدة. وهو ما ركز عليه بعد ذلك "**محمد علي**" من أجل تحديث مؤسسات الدولة، لذلك كان ضمن البعثة طلبة متخصصون في الترجمة على رأسهم - رفاعة الطهطاوي - الذي كان قائما على "مدرسة الألسن والترجمة" وقتئذ بحيث عالجت: « مدرسة الطهطاوي أكثر من ألفي مؤلف علمي بدقة وأمانة، فضلا عن الكتب العلمية »[1]. وأما حركة الطباعة والنشر فهي الأخرى قد شكلت أسلوبا آخر للتفاعل بين المشرق والغرب، بحيث إنها أمنت جانب انتشار الأفكار والأخبار والعلوم بين الأفراد والجماعات من خلال ببعض المطابع التي انتشرت إبان القرن **التاسع عشر ميلادي** في بيروت، والتي أنشأها وأدارها "الرهبان اللبنانيون". وأما في مصر فقد ظهرت على يدي "**نابليون**" لينشيء بعدها -**محمد علي**-**المطبعة الأهلية** سنة **1881**، وقد عُرفت بمطبعة " **البولاق** ". كما عرفت "سوريا " مطبعة - **دار الأيتام** - التي قدمت هي الأخرى خدمات جليلة للأفراد والجماعات في الأقطار العربية.

4-حركة الصحافة والاستشراق:

يبدو أن "**الصحافة والإعلام**" قد شكلتا إطارا أساسيا في بعث نهضة نقدية عربية حديثة إلى الأمام، وهذا من خلال ما خلفته من تفاعل بين المشرق

---

[1]- أحمد السماوي: الأدب العربي الحديث، ص: 23.

والغرب، بحيث كان لانتشار الجرائد والمجلات والدوريات الأثر الكبير في تنشيط الحركة الفكرية والأدبية والنقدية في البيئة العربية.

ولعل أول جريدة كان لها الفضل في ذلك هي جريد " **الوقائع المصرية** " التي أنشأها **محمد علي** سنة **1828**، ثم تلتها في الشام جريدة – **مرآة الأحوال**– سنة **1855**. وعليه يمكن التأكيد على أن حركة الصحافة قد: « أيقظت الأذهان، وحملت إلى قرائها لواء الدعوات السياسية والفكرية المختلفة، الوحدة الوطنية، والإقليمية، الرابطة العثمانية، والجامعة الإسلامية، والقومية العربية »[1]. مما يعني أن الصحافة في عصر النهضة أخذت على عاتقها وظيفة التثقيف والتهذيب، كما كانت وسيلة ثورية ضد الآخر مهما كان نوعه وجنسه.

وأما "**حركة الاستشراق**" فقد كان لها الدور الريادي للنهضة العربية، بحيث شكلت أحد العوامل الأساسية التي قامت عليها الحركة السورية في أوربا. ذلك أنّ **المكتبة الكاثوليكية** تكفلت بترجمة الكتب العربية؛ ما يعني أنّ حركة الاستشراق قد حققت تفاعلاً فكريا وأدبيا ونقديا بين المشرق والمغرب؛ وهذا من أجل إسهامات المستشرقين في تحقيق المخطوطات وطبعها ثم نشرها. كما اهتموا بأبحاثهم المختلفة خاصة التي تبحث في أصول اللّغات وفقه اللّغات والساميات..، هذا ما جعل أبحاثهم تمتاز بحسن العرض والدقة العلمية والمنهجية. ولعلّ من أهم المستشرقين الفرنسيين نذكر كلاً من " **سيلفستر دي ساسي**" و"**بروكلمان** "وغيرهما. ومن ثم فقد قدمت حركة الاستشراق: « خدمات جليلة للعرب كما

---

[1]– **علي المحافظة.الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الأهلية للنشر ، ط2،بيروت 1978.ص30.**

للغرب ، لعل من أهمها طبع الكتب من خلال العناية بفهرستها وشرحها وإخراجها، هذا بالإضافة إلى إعادة كتابة تاريخ الآداب العربية »[1].

5–حركة الدراما والمسرح:

يبدو أن الحركة الدرامية/المسرحية قد أدت دورًا رئيسا في بعث الحركية النهضوية العربية الحديثة من خلال تقوية الصلات الفنية بين المشرق والغرب، بحيث كان اللبنانيون أسبق الشعوب العربية في تعاطي الفنون المسرحية/ الدرامية، ليأتي بعد ذلك الدور المصري، بحيث أسس – **الخديوي اسماعيل – دار الأوبرا**، هذا ما عمل على انتشار هذا الفن الحديث في البلاد العربية شرقا ومغربًا.

ومما سبق يمكن القول أنّ هذه العوامل وغيرها، قد كان لها الدور الفعال في ترقية الوعي الفكري/ الأدبي/ النقدي العربي. وعليه فإن أُطر هذه النهضة النقدية العربية الحديثة سواء أكانت فكرية/ أدبية/ علمية قد تناسبت مع مختلف الأشكال الأدبية والنقدية الحديثة، التي ظهرت ضمن الساحة النقدية العربية الحديثة.

[1]– ينظر: حنا الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ص: 921.